اليـــهود فـــي واســـــط

أ.م. د عباس سليم زيدان
كلية الاعلام – جامعة واسط

إنّ يهود العراق أقدم الطوائف الدينية الموجودة في العراق حيثُ يرجع تأريخ وجودهم أكثر من ٢٦٠٠ سنة، وتمتعوا بمكانةٍ أجتماعية مرموقة وعندمانتحدث عن يهود العراق فإنّ التأريخ هو الذي سوف يتحدث عن شريحة من شرائح الشعب العراقي وجزء من الطيف العراقي ونسيجهِ الأجتماعي.

معظم كتـــب التاريخ تؤكـــد أن أول وجود لليهود في أرض العراق يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد عندما نقل الآشوريون إلى منطقة آشور القديمة اليهود الموجودين في أرض فلسطين القديمة في ثلاث حملات متتالية على إسرائيل ويهوذا ما يربو على أربعمائة ألف نسمة. ففي الحملة الأولى استولى الملك تجلات بلتتصر الثالث علىكل مدن إسرائيل عدا (السامرة) ونقل جميع سكان هذه المدن إلى آشور. ولما كانـــت يهوذا تؤلف سبطين، وإسرائيل تؤلف عشرة أسباط على قول التوراة فيكون عدد الذين نقلهم تجلات بلنتصر الثالث من جميع مدن إسرائيل حوالي مائتي ألف نسمة. ثم ينبئنا سرجون الثاني أنه نقل ما تبقى من يهود إسرائيل في مدينة السامرة التي احتلها في الحملة الثانية حوالي (٢٧٠ الى٢٩٠) نسمة، كما أن سنحاريب يذكر في مدوناته أنه نقل من أسرى يهوذا (١٥٠.٢٠٠) نسمة إلى المنطقة نفسها (أي. آشور) فمجموع هـــؤلاء يبلغاكثـــر من أربعمائة ألف نسمة بعد سقوط الدولة الآشورية ومجيء الدولة البابلية، حدث السبي البابلي المشهور لليهود على يد الملك نبوخذ نصر الذي حكم البلاد ٤٣ سنة بين سنـــة ٦٠٥ وسنـــة ٥٦٢ ق.م. وقد تنبأ النبي إرميا بما سيحل بأورشليم وببيت الملك عقاباً لهم من الرب فقال (سفر إرميا٣٢ : ٢٨ــ ٢٩ ــ ٣٠):

לָכֵן, כֹּה אָמַר יְהוָה: הִנְנִי נֹתֵן אֶת-הָעִיר הַזֹּאת בְּיַד הַכַּשְׂדִּים, וּבְיַד נְבוּכַדְרֶאצַּר מֶלֶךְ-בָּבֶל--וּלְכָדָהּ : וּבָאוּ הַכַּשְׂדִּים, הַנִּלְחָמִים עַל-הָעִיר הַזֹּאת, וְהִצִּיתוּ אֶת-הָעִיר הַזֹּאת בָּאֵשׁ, וּשְׂרָפוּהָ; וְאֵת הַבָּתִּים אֲשֶׁר קִטְּרוּ עַל-גַּגּוֹתֵיהֶם לַבַּעַל, וְהִסִּכוּ נְסָכִים לֵאלֹהִים אֲחֵרִים--לְמַעַן, הַכְעִסֵנִי. **ירميهو لب: كح، كט.**

28 لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ. هَئَنَذَا أَدْفَعُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ لِيَدِ الْكِلْدَانِيِّينَ وَلِيَدِ نَبُوخَذْنَصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ فَيَأْخُذُهَا. 29 فَيَأْتِي الْكِلْدَانِيُّونَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ فَيُشْعِلُونَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ وَيُحْرِقُونَهَا وَالْبُيُوتَ الَّتِي بَخَّرُوا عَلَى سُطُوحِهَا لِلْبَعْلِ وَسَكَبُوا سَكَائِبَ لِآلِهَةٍ أُخْرَى لِيُغِيظُونِي.ارميا٣٢: ٢٨،٢٩

وجـــــــــاء السبي البابلي في حملتين: **الأولى** في سنة ٥٩٧ ق.م ، وحصلت عندما تمرد الملك (يهوياقيم) ملك يهوذا (٥٩٧ ــ ٦٠٨ ق.م) على (نبوخذ نصر)، وذلك بعد أن أظهر طاعته وخضوعه

إلى الملك الكلـــــــداني، فشن نبوخذ نصر، سنة٥٩٧ق.م حملة على (يهوياقيم) وحاصر أورشليم إلا أن (يهوياقيم) توفي أثناء هذا الحصار فخلفه ابنه (يهوياكـــــين) الذي اضطر إلى الاستسلام فسبى "نبوخذ نصر" كل يهود أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة يهوذا وعشرة آلاف صبي وجميع الصناع، لم يبق أحداً إلا مساكـــين شعب الأرض، كمـــا سبى (يهوياكـــين) وأمه ونساءه ورجاله من أورشليم إلى بابل. وأخرج (نبوخذ نصر) جميع خزائن (بيت الرب) وخزائن بيت الملك وكســـر كـــل آنية الذهب، ثم عين "صدقيا" عم "يهوياكين" الذي اكد ولاءه للملك الفاتح خلفاً ليهوياكين.

والثانية في ٥٨٦ ق.م أثر تمرد صدقيا إذ دخل في حوالي سنة٥٨٨ ق.م في تحالف مع المدن السورية والفلسطينية بتحريض من (ملك مصر) الذي كـــان يطمح أن يستعيد سيطرة مصر على سورية فغضب نبوخذ نصرغضباً شديداً، وجاء في هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية وأرسل الملك "نبوخذ نصر" جيشه لحصار أورشليم إلا أن دخول ملك مصر إلى فلسطين اضطر البابليين إلى رفع الحصار محاربته، فظن اليهود أن النصر بات حليفهم لكـــن البابليين استطاعوا صد المصريين وإرجاعهم على أعقابهم ثم أعادوا الحصار على أورشليم في الحال، فدخلت الجيوش البابلية المدينة في اليوم الرابع من شهر تموز ٥٨٦ ق.م، أما صدقيا فهرب هو وأفراد عائلته، ولكن البابليين لحقوا به في سهول أريحا حيث قبضوا عليه وحملوه إلى(ربلة) حيث مقر ومعســـكر الملك نبوخذ نصر، وهناك ذبح أولاده أمام عينه، ثم فقئت عيناه وأخذ مكبلاً مع الأسرى إلى بابل[1]. وقد أرخ سفر إرميا ما نزل بأورشليم على أيدي الكلدانيين بعد تمرد صدقيا على ملك بابل، ورد في سفر ارميا:

ד וַיְהִי בַּשָּׁנָה הַתְּשִׁעִית לְמָלְכוֹ, בַּחֹדֶשׁ הָעֲשִׂירִי בָּעָשׂוֹר לַחֹדֶשׁ, בָּא נְבוּכַדְרֶאצַּר מֶלֶךְ-בָּבֶל הוּא וְכָל-חֵילוֹ עַל-יְרוּשָׁלַם, וַיִּחֲנוּ עָלֶיהָ; וַיִּבְנוּ עָלֶיהָ דָּיֵק, סָבִיב. **ה** וַתָּבֹא הָעִיר, בַּמָּצוֹר, עַד עַשְׁתֵּי עֶשְׂרֵה שָׁנָה, לַמֶּלֶךְ צִדְקִיָּהוּ. **ו** בַּחֹדֶשׁ הָרְבִיעִי בְּתִשְׁעָה לַחֹדֶשׁ, וַיֶּחֱזַק הָרָעָב בָּעִיר; וְלֹא-הָיָה לֶחֶם, לְעַם הָאָרֶץ. **ז** וַתִּבָּקַע הָעִיר, וְכָל-אַנְשֵׁי הַמִּלְחָמָה יִבְרְחוּ וַיֵּצְאוּ מֵהָעִיר לַיְלָה דֶּרֶךְ שַׁעַר בֵּין-הַחֹמֹתַיִם אֲשֶׁר עַל-גַּן הַמֶּלֶךְ, וְכַשְׂדִּים עַל-הָעִיר, סָבִיב; וַיֵּלְכוּ, דֶּרֶךְ הָעֲרָבָה. **ח** וַיִּרְדְּפוּ חֵיל-כַּשְׂדִּים אַחֲרֵי הַמֶּלֶךְ, וַיַּשִּׂיגוּ אֶת-צִדְקִיָּהוּ בְּעַרְבֹת יְרֵחוֹ; וְכָל-חֵילוֹ--נָפֹצוּ, מֵעָלָיו. **ט** וַיִּתְפְּשׂוּ, אֶת-הַמֶּלֶךְ, וַיַּעֲלוּ אֹתוֹ אֶל-מֶלֶךְ בָּבֶל רִבְלָתָה, בְּאֶרֶץ חֲמָת; וַיְדַבֵּר אִתּוֹ, מִשְׁפָּטִים. **י** וַיִּשְׁחַט מֶלֶךְ-בָּבֶל אֶת-בְּנֵי צִדְקִיָּהוּ, לְעֵינָיו; וְגַם אֶת-כָּל-שָׂרֵי יְהוּדָה, שָׁחַט בְּרִבְלָתָה. **יא** וְאֶת-עֵינֵי צִדְקִיָּהוּ, עִוֵּר; וַיַּאַסְרֵהוּ בַנְחֻשְׁתַּיִם, וַיְבִאֵהוּ מֶלֶךְ-בָּבֶל בָּבֶלָה, וַיִּתְּנֵהוּ בבית- (בֵּית-) הַפְּקֻדֹּת, עַד-יוֹם מוֹתוֹ. **ירמיהו נב: ד- יא.**

٤ وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِمُلْكِهِ فِي الشَّهْرِ الْعَاشِرِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ جَاءَ نَبُوخَذْنَصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ هُوَ وَكُلُّ جَيْشِهِ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَنَزَلُوا عَلَيْهَا وَبَنُوا عَلَيْهَا أَبْرَاجاً حَوَالَيْهَا. ٥ فَدَخَلَتِ الْمَدِينَةُ فِي الْحِصَارِ إِلَى

السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشَرَةَ لِلْمَلِكِ صِدْقِيَّا. ٦ فِي الشَّهْرِ الرَّابِعِ فِي تَاسِعِ الشَّهْرِ اشْتَدَّ الْجُوعُ فِي الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَكُنْ خُبْزٌ لِشَعْبِ الأَرْضِ. ٧ فَثُغِرَتِ الْمَدِينَةُ وَهَرَبَ كُلُّ رِجَالِ الْقِتَالِ وَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ لَيْلاً فِي طَرِيقِ الْبَابِ بَيْنَ السُّورَيْنِ اللَّذَيْنِ عِنْدَ جَنَّةِ الْمَلِكِ وَالْكِلْدَانِيُّونَ عِنْدَ الْمَدِينَةِ حَوَالَيْهَا فَذَهَبُوا فِي طَرِيقِ الْبَرِّيَّةِ. ٨ فَتَبِعَتْ جُيُوشُ الْكِلْدَانِيِّينَ الْمَلِكَ فَأَدْرَكُوا صِدْقِيَّا فِي بَرِّيَّةِ أَرِيحَا وَتَفَرَّقَ كُلُّ جَيْشِهِ عَنْهُ. ٩ فَأَخَذُوا الْمَلِكَ وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَلِكِ بَابِلَ إِلَى رَبْلَةَ فِي أَرْضِ حَمَاةَ فَكَلَّمَهُ بِالْقَضَاءِ عَلَيْهِ. ١٠ فَقَتَلَ مَلِكُ بَابِلَ بَنِي صِدْقِيَّا أَمَامَ عَيْنَيْهِ وَقَتَلَ أَيْضاً كُلَّ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا فِي رَبْلَةَ ١١ وَأَعْمَى عَيْنَيْ صِدْقِيَّا وَقَيَّدَهُ بِسِلْسِلَتَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ وَجَاءَ بِهِ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى بَابِلَ وَجَعَلَهُ فِي السِّجْنِ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ. ارميا٥٢:٤-١١

أما أورشليم فخربت ودمرت تدميراً كاملاً فأحرق (بيت الرب) وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء وسلبت الخزائن ونقلت إلى بابل، وقد قدر عدد الأسرى الذين سيقوا إلى بابل ليلتحقوا باليهود من السبي الأول بحوالي (٥٠٠٠٠) نسمة.

اليهود في بابل في زمن الكلدانيين (٥٣٩ – ٦١٢ ق.م)

تشير المصادر إلى أن اليهود في بابل أصبحوا في غضون فترة وجيزة من أغنياء أهل بابل، فبعضهم امتلك الأراضي الزراعية والبعض الآخر كان يزرع بالفعل على الأراضي التي أقطعت له، وقد حفروا شبكة من جداول الري والقنوات لإيصال المياه السيحية إلى مزارعهم، وأنشئوا الحقول والبساتين ووجهوا عنايتهم لوقايتها من الغرق، فأقاموا السدود ونظموا أعمال الري على أحسن وجه، وقد اعتنوا عناية خاصة بتطهير الجداول والمبازل من الراسبات الغرينية، بحيث تحولت هذه المنطقة إلى حقول مثمرة، وكان يعمل بعضهم في حقل التجارة.

اليهود في بابل في زمن الأخمينيين (٣٣١ – ٥٣٩ ق.م)

يشير العهد القديم وكما ورد في إشعيا (٤٥) أن يهود بابل كانوا ينظرون إلى كورش[٣] وكأنه المسيح المنتظر من الرب، وإن الرب يبعثه لمعاقبة بني إسرائيل الخارجين عن إرادته.

כֹּה-אָמַר יְהוָה, לִמְשִׁיחוֹ לְכוֹרֶשׁ אֲשֶׁר-הֶחֱזַקְתִּי בִימִינוֹ לְרַד-לְפָנָיו גּוֹיִם, וּמָתְנֵי מְלָכִים, אֲפַתֵּחַ--לִפְתֹּחַ לְפָנָיו דְּלָתַיִם, וּשְׁעָרִים לֹא יִסָּגֵרוּ. ישעיהו מה:א

١ هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَماً وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أَحُلُّ. لأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ وَالأَبْوَابُ لاَ تُغْلَقُ: اشعيا:٤٥

لما فتح كـــــورش بلاد بابل (٥٣٨ – ٥٣٩ ق.م) سار في فتوحاته حتى احتل سورية وفلسطين ومن ضمنها أورشليم، وسمح لمن أراد من أسرى نبوخذ نصر الرجوع إلى فلسطين، وأعاد إليهم كنـــوز

الهيكل التي كان قد سلبها من نبوخذ نصر، وأمر بإعادة بناء الهيكل في أورشليم على نفقة بيت الملك، فعاد فريق منهم بقيادة (زوربابيل) بن شلائيل بن يهوياكين ملك يهوذا الأخير[٤]

وجاءء في سفر عزرا (٢ : ١)

א וְאֵלֶּה בְּנֵי הַמְּדִינָה, הָעֹלִים מִשִּׁבְיִ הַגּוֹלָה, אֲשֶׁר הֶגְלָה נבוכדנצור (נְבוּכַדְנֶצַּר) מֶלֶךְ-בָּבֶל, לְבָבֶל; וַיָּשׁוּבוּ לִירוּשָׁלַם וִיהוּדָה, אִישׁ לְעִירוֹ.עזרא 1:2

وَهَؤُلاَءِ هُمْ بَنُو الْكُورَةِ الصَّاعِدُونَ مِنْ سَبْيِ الْمَسْبِيِّينَ الَّذِينَ سَبَاهُمْ نَبُوخَذْنَصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى بَابِلَ وَرَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَهُوذَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. عزرا (٢ : ١)

اليهود في بابل في زمن الإغريق (٣٣١-١٣٩ق.م):

يبدأ هذا العصر في بداية حملة الإسكندر الكبير (٣٥٦-٣٢٣ق.م) على بلاد الشرق سنة ٣٣٤ق.م، فكان الإسكندر يرمي من حملته هذه تأسيس إمبراطورية واسعة تضم الغرب والشرق بلا حدود تفصلها، تخضع سياسياً واقتصادياً وثقافياً للنفوذ الإغريقي، وذلك بتأسيس مستوطنات إغريقية في مختلف أنحاء هذه الإمبراطورية، وإنشاء قواعد عسكرية على طول خطوط المواصلات مع إقامة مراكز ثقافية تتولى نشر الثقافة اليونانية بما في ذلك اللغة اليونانية، وقد قام الإسكندر بذلك فعلاً بعد احتلاله للشرق، فأسّس سبعين مدينة يونانية جديدة بأسماء يونانية، ومع أن حلمه لم يتحقق بالشكل الذي أراد؛ لأنه لم يطل بقاؤه في البلاد، فقد سلك خلفاؤه الطريق نفسه لتطبيق منهجه في نشر الثقافة اليونانية، والدليل على رسوخها أن رسالة المسيح أُذيعت بعد ثلاثة قرون باللغة اليونانية على العالم المتمدن، ولم يستثن من هذا النفوذ الشعب اليهودي ولغته، وقد كانت حصة يهود فلسطين كبيرة من هذه الحركة، وأما حصة يهود بابل وبين النهرين فكانت ضئيلة وقلّ من اهتمَّ بدرسها والتوسع فيها[٥]

يهود العراق في العصر العباسي

كان يهود العراق منذ قيام الخلافة العباسية حتى وفاة هارون الرشيد (٧٦٢ –٨٠٩ م) يتمتعون بحرية تامة وبحياة آمنة ولما وقعت حروب وفتن بين الأمين والمأمون وأصحابهما سادت الفوضى ودام الاضطراب الذي شمل كل أطراف العراق إلى سنة ٨١٣م حين انتهى حكم الخلافة إلى المأمون، فلحق بالناس من الأذى بسبب الفتن والاضطرابات الشيء الكثير، وأصاب من بين مَـــن أصاب اليهود. ولما ولـّـــي المأمون الخلافة أبدى تسامحاً ليس تجاه اليهود فقط، بل شمل هذا التسامح كل الرعايا فاستفاد الشعب من مواهبهم العلمية على اختلاف أديانهم وتباين مذاهبهم وأطلق الحرية التامة[٦]،ولما أسست بغداد عام ١٤٥ هـــ (٧٥٩م) قصدها الناس من كل مكان باعتبارها عاصمة الخلافة، وكان منهم اليهود وعرف عن الخلفاء العباسيين التسامح الديني فتمتع اليهود مثل غيرهم من السكان بدرجة كبيرة من

الاستقرار والطمأنينة والازدهار خلال القرون الأولى من حكم الدولة العباسية واستمر يهود العراق في عهد العباسيين على هذا المنوال حتى عهد المتوكل(٨٦١ – ٨٤٧م) الذي كان شديداً على أهل الذمة، إذ أمرهم سنة ٨٤٩م بأن يلبسوا لباساً خاصاً يميزهم عن المسلمين، كما أمرهم بهدم معابدهم المحدثة وتسوية قبورهم مع الأرض. وكان نتيجة لذلك أن تعطل منصب رأس الجالوت الذي كـــان يقوم بإدارة شؤون اليهود الداخلية، وفي عهد القادر بالله أغلقتْ جميع المدارس اليهودية في العراق، ثم لما تولى المقتدي بأمر الله الخلافة سار على سيرة المتوكـل. إلا أن الوضع قد تغير بعده، إذ أعيد لليهود في القرن الثاني عشر للميلاد حريتهم وحسن معاملتهم، وذلك على أثر استيلاء السلطان مسعود بن محمد بن مالكشاه سنة ١١٣٢م على مقاليد الحكـم فـي بغداد، وقـد استمـر حكم السلطان مسعود في عهد الخليفة المسترشد بالله (١١٣٥ – ١١١٨م) واستمرحق حسن معاملة اليهود فالوصف الذي تركه لنا الرابي بنيامين التطلي الذي زار العراق في عهد خلافة المستنجد بالله يؤيد حالة اليهود المزدهرة في هذا العهد، حيث يقول: "ويقيم ببغداد نحو أربعين ألف يهودي، وهم يعيشون بأمان وعز ورفاهية في ظل أمير المؤمنين الخليفة، وبين يهود بغداد عدد كبير من العلماء وذوي اليسار، ولهم فيها ثمانية وعشرون كنيســـاً، قسم منها في جانب الرصافة، ومنها في جانب الكرخ على الشاطئ الغربي من نهر دجلة الذي يمر في المدينة ويشطرها شطرين. وكنـــــيس رأس الجالوت بناء جسيم فيه الأساطين الرخام المنقوشة بالأصباغ الزاهية المزوقة بالفضة والذهب، وتزدان رؤوس الأساطين بكتابات من المزامير بحروف من ذهب، وفي صدر الكنيس مصطبة يصعد إليها بعشر درجات من رخام وفوقها الأريكة المخصصة لرأس الجالوت[٧]

يهود العراق في العهد العثماني:

في عهد السلطان مراد الرابع الذي استرجع بغداد من يد الفرس عام (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م) بدأت معالم الحياة الاجتماعية ليهود العراق في الظهور في المجتمع التركـي الجديد، وفي هذه الفترة أخذ اليهود بالتحرك نحو إعادة تقوية أسس حياتهم الاجتماعية. وفي منتصف القرن السابع عشر الميلادي استقرت الحالة الأمنية ليهود العراق حيث تم تحركهـم في شتى انحـاء العراق لغرض إيجاد مأوى لهم يستقرون فيه، فتراهم موجودين في الموصل وكركـــوك والسليمانية وأربيل، ووصلوا إلى أبعد منطقة في القطاع الشمالي من حدود العراق، حيث التقوا هناك ببعض أبناء ملتهم الذين يدعون أنهم من بقايا السبي الآشوري الأول. وفي نفس الوقت أخذوا في إعادة بنـــــاء وترميم المزارات التي تخصهم في المنطقة وخاصة مزار النبي ناحوم في قصبة القوش التي تبعد عن مدينة الموصل حوالي ٥٠كـــم، وكما تحرك اليهود نحو الشمال فإنهم تحركـوا إلى الوسط والجنوب في العراق، وأول شـئ قاموا به صيانة مزاراتهم وخاصة الكفل والنبي يوشع.[٨]

يعد عام١٨٥٦ م عام بدءء نشر العلم والمعرفة والثقافة بين صفوف ابناء الطائفة اليهودية، وذلك بتأسيس مدرسة الاتحاد التي تعد النواة الأولى لانتشار المدارس اليهودية في العراق.وعلى عهد مدحت باشا عاش اليهود في العراق بهدوءء ويسر وذلك في العام١٨٦٨م، حيث بث بين المواطنين كافة روح العدالة والمساواة والحرية، وبذلك اتسعت الأعمال التجارية عندهم على الشؤون الدينية وغير الدينية من ثقافية وصحية، وخاصة كـــان بتأسيس المستشفيات في مقدمة أولئك (مستشفى مير إلياس). ولعل الوالي ناظم باشا كان اكثر كل الولاة العثمانيين في بغداد عطفاً على اليهود محباً لهم وميسراً أمورهم ولكن عندما وصل بغداد تم إعفاؤه من منصبه فحزنت الطائفة اليهودية، والتمست من الباب العالي أن يعيد النظر بعد نشوب الحرب العالمية الأولى وعلى عهد الوالي نامق باشا لحق يهود العراق نوائب عديدة واشتدت الأزمات، وظلوا على تلك الحالة القلقة حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى واحتلال بغداد من قبل الإنكليز من قبل الجنرال مود ١٩١٧ حيث واصلوا السير في الحياة. [٩]

يهود العراق في العصرالحديث والمعاصر

التنظيم الطائفي والديني :

كان على رأس الطائفة اليهودية جهاز ديني مدني، وكانت الأمور الدينية بيد رئيس الحاخامية "حاخام باشا" الذي يعين من قبل الباب العالي. أما الإدارات الطائفية فكانت بيد إحدى الشخصيات التي تنتمي إلى عائلات يهودية رفيعة المقام ويسمى "ناسي-**נשיא**" أي الرئيس. ويأتي بعد هاتين الشخصيتين مجلس مكون من عشرة أشخاص ومحكمة حاخامية برئاسة الحاخام باشا، كما كانت للطائفة اليهودية في بغداد مؤسساتها التي تتلقى الدعم المادي من صندوق الطائفة.

مشاركة اليهود في الحياة العامة:

"كان للقوانين التركية التي صدرت بين عامي ١٨٣٩ و١٩١٤ الفضل في تحسين أوضاع يهود العراق أسوة بغيرهم من يهود البلاد الإسلامية الأخرى الخاضعة للدولة العثمانية"

النشاط الاقتصادي:

برزت مكانة اليهود -خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني- في مجال التجارة والأعمال، وكان رئيس صيارفة الوالي المعروف باسم "صراف باشا" يهودياً، واشتهر من بين هؤلاء الصيارفة ساسون بن صالح بن داود الذي تقلد هذه الوظيفة أعواماً طويلة.وقد انتشر يهود العراق في المدن والقرى العراقية ولا سيما بغداد والموصل والبصرةوالكوت وكركوك،والنجف وبابل وكانوا يقومون بالأعمال الاقتصادية المختلفة، وكانت لهم علاقات تجارية وثيقة بالهند وإيران. وازدهر هذا الدور إثر افتتاح قناة السويس في مصر عام ١٨٦٨، وتعاظم دورهم في أعقاب الاحتلال البريطاني للعراق بعد الحرب

العالمية الأولى عام ١٩١٩.وتولى العديد من يهود العراق رئاسة المصالح الاقتصادية والمكاتب الحكومية، وكان لهم بنوك عديدة منها بنك زلخة وبنك كريديه وبنك إدوارد عبودي وغيرها، كما احتكروا عدة صناعات كالأبسطة والأثاث والأحذية والأخشاب والأدوية والأقمشة والتبغ والجلود وغيرها، واحتكروا استيراد بعض السلع مثل منتجات شركة "موبيل أويل" الأميركية، كما عملوا في معظم المهن الحرة كالطب والصيدلة والصحافة والطباعة.وبلغت مساهمة يهود العراق في الحركة الاقتصادية أوجها قبيل الحرب العالمية الثانية، إذ كان أكثر من نصف الأعضاء الثمانية عشر بغرفة تجارة بغداد من اليهود وكان من بينهم الرئيس والسكرتير.

النشاط الاجتماعي والسياسي:

كان للطائفة اليهودية في العراق مؤسساتها الخيرية الخاصة التي تقدم لأفرادها الخدمات الاجتماعية والتعليمية والصحية، مما جعل المستوى الاجتماعي العام للطائفة فوق المعدل العام للسكان. وبرزت في ذلك المجال جمعية (שומרי המצווה- شومري متسفا (المحافظون على الشريعة) حيث كان لها دورها في مجال النشاط الاجتماعي. كما تعددت الجمعيات الخيرية اليهودية في بغداد، وكانت لها نشاطاتها المتعددة وخدماتها المتميزة لأبناء الطائفة.ولم يكن مصرحا لليهود بالخدمة العسكرية، وكانت الحكومة التركية تقدر مبلغاً سنوياً تدفعه الطائفة ويعرف ببدل العسكرية مع إعفاء لرجال الدين وأولادهم من دفع هذا المبلغ. وظل هذا الوضع قائماً حتى بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث أصدرت الحكومة بياناً تضمنت الفقرة الأولى منه ضمان حقوق الأقليات ومنحها المساواة في الحقوق المدنية والسياسية وغيرها.ويمكن القول إن الطائفة شهدت تغيراً كبيراً في جوانب حياتها الاجتماعية المختلفة في أعقاب الاحتلال البريطاني للعراق، حيث ظهرت علامات الانفتاح على الغرب وتناقص التمسك بالشرائع اليهودية. وكان للطائفة بالعراق مجلس ينتخب أعضاؤه من بين أفراد الطائفة كل أربع سنوات، ثم أصبح كل سنتين فيما بعد.

أما فيما يتعلق بمشاركة الطائفة في الحياة السياسية العامة، فقد كان لليهود مندوب تنتخبه الطائفة ليمثلها في مجلس "المبعوثين" الذي افتتحه الأتراك عام ١٨٧٦. ولما أعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ قابله اليهود بالترحاب، كما رحبوا بالحكومة العراقية الجديدة تحت الانتداب البريطاني، وتم تعيين اليهودي ساسون حزقيال أول وزير للمالية العراقية عام ١٩٢١ بالإضافة إلى يهود آخرين تولوا مناصب حكومية مهمة في العراق.

وكشأن سائر الأقليات كان لليهود ممثلون في مجلس النواب والأعيان بالعراق. **وقد نصت الفقرة الثانية من المادة الثالثة من قانون المجلس التأسيسي عام ١٩٢٢ على أن يكون من بين الأعضاء يهوديان من بغداد وواحد من كل من البصرة والموصل وكركوك، كما نصت المادة التاسعة من قانون**

انتخاب النواب (رقم ١١ لعام ١٩٤٦) على أن يمثل اليهود العراقيين ثلاثة نواب من بغداد، ونائب عن الموصل، إلى جانب من يمثلهم في مجلس الأعيان.وباستثناء بعض الحوادث التي وقعت نتيجة عوامل خارجية، لم يواجه يهود العراق أي مصاعب من قبل المسلمين وبخاصة في الفترة الواقعة من منتصف الستينيات من القرن التاسع عشر وحتى الهجرة الجماعية من العراق في منتصف القرن العشرين.وقد كان للقوانين التركية التي صدرت منذ عام ١٨٣٩ وحتى عام ١٩١٤ الفضل في تحسين أوضاع يهود العراق أسوة بغيرهم من يهود البلاد الإسلامية الأخرى الخاضعة للدولة العثمانية، حتى أنهم توقفوا عن دفع الجزية التي كانت مقررة عليهم.

التعليم والثقافة

منذ أن أغلقت "اليشيفا- הישיבה" (مدرسة دينية عليا) في العراق أبوابها في القرن الثالث عشر الميلادي، اقتصر التعليم اليهودي على "الحيدر-החדר" (يشبه الكُتَّاب عند المسلمين)، ولم تكن هناك صورة منظمة للالتحاق بهذه المؤسسات العلمية، وكان القادرون وحدهم هم الذين يحظون بنصيبهم من التعليم، الأمر الذي أقلق أفراد الطائفة في العراق. واقترح الحاخام موسى بن شموئيل هاليفي إنشاء "مدراش-מדרש" (مدرسة دينية) لتعليم أبناء الفقراء، وقد تحقق ذلك على يدي ابنه هارون عام ١٨٣٢. وقد انتشر "الحيدر-חדר" في شتى أنحاء العراق. وكان التعليم قاصراً على العلوم الدينية، كما أن مناهج الدراسة كلها كانت باللغة العربية"شهد القرن العشرين نهضة يهودية فيما يتعلق باستخدام اللغة العربية، إذ اتجه الشباب اليهودي في العراق إلى البحث والتأليف بالعربية ممثلين بذلك انتصاراً للتيارات العلمانية التي سادت الطائفة في ذلك الوقت .

وتشهد الطائفة تحولاً كبيراً بافتتاح أول مدرسة تابعة "للأليانس" عام ١٨٦٤ على يدي جمعية "כל חברי ישראל - كل إسرائيل أصدقاء". وقد ركزت هذه المدرسة على الثقافة العامة واللغات وبخاصة الإنجليزية والفرنسية، وكانت لغة التدريس فيها هي الفرنسية، كما درس الطلاب الإنجليزية والعربية والعبرية والتركية بالإضافة إلى العلوم الأخرى كالحساب والجغرافية والتاريخ وغيرها. وانتشرت هذه المدارس في شتى أنحاء العراق مع بداية القرن العشرين، وكان من بين خريجيها من سافر لاستكمال دراسته في تركيا والهند وإنجلترا وفرنسا وعاد إلى العراق ليكون نموذجاً يحتذى به من قبل أبناء طائفته.وكان من المسموح به ليهود العراق الالتحاق بالمدارس الحكومية، ودأبت الحكومة على إرسال مدرس للدين اليهودي في كل مدرسة بها تلاميذ يهود، كما أقامت الحكومة عام ١٩٣٣ مدرسة حكومية للبنات خاصة باليهود أسوة بالمسيحيين واسمها "مدرسة منشى صالح" ثم أنشئت أخرى للبنين عرفت باسم "رأس القرية"،ويمكن ملاحظة الاهتمام الخاص بتدريس اللغة العبرية وبخاصة في أعقاب الاحتلال البريطاني للعراق، كما كانت الدعوة توجه إلى مدرس العبرية من فلسطين إلى العراق.وقد

ظهرت آثار كبيرة لتغيير مناهج التعليم في المدارس اليهودية وتدريس اللغات الأجنبية والحية ودروس المحاسبة ومسك الدفاتر وتعليم المهن والحرف والمساعدات المالية التي تتلقاها هذه المدارس اليهودية من الأثرياء والأوقاف ووزارة المعارف.. وهو ما أسهم في خلق وضع متميز للمدارس اليهودية في العراق عامة وفي بغداد خاصة، وانعكس ذلك كله على المجال الأدبي، فظهر من بين أبناء الطائفة شعراء وأدباء كتبوا بالعربية، كما أعطت الصهيونية -التي بدأت تمارس نشاطها بالعراق- دفعة قوية للغة العبرية، وإن كان ذلك في معظم الأحيان قد اتخذ صورة غير رسمية.ولعل أول مطبعة عبرية تأسست في العراق كانت عام ١٨٦٣ على يدي موسى باروخ مزراحي حيث قامت بطباعة أول جريدة عبرية وسميت "هادوفير הדובר" أي المتحدث، كما نشرت بعض الكتب. ومع أوائل القرن العشرين أنشئت مطابع أخرى قامت بطباعة العديد من الكتب العبرية، وكانت أشهر دور النشر اليهودية دار "رحمايم-רחמים" في بغداد، وكان إنتاج هذه الدور يلقى رواجاً بين الطوائف اليهودية في الهند والصين.

كانت ليهود العراق لهجة عربية خاصة بهم، وكتبوا كذلك بعض مؤلفاتهم بلغة عربية بحروف عبرية وبخاصة في مجال العلوم الدينية، كما برز منهم أدباء وشعراء كتبوا بلغة عربية فصحى، وترجموا إليها من لغات كانوا يعرفونها كالآرامية واليونانية.وشهد القرن العشرون نهضة يهودية فيما يتعلق باستخدام اللغة العربية، إذ اتجه الشباب اليهودي في العراق إلى البحث العلمي والتأليف الأدبي بالعربية ممثلين بذلك انتصاراً للتيارات العلمانية التي سادت الطائفة في ذلك الوقت. وكان أول كتاب صدر بالعربية الفصحى في هذا القرن عام ١٩٠٩ وعنوانه "الثورة العثمانية" لليهودي العراقي سليم إسحاق، كما صدرت صحيفة عربية تركية هي صحيفة "الزهور" التي حررها اليهودي نسيم يوسف سوميخ وغيره.

العلاقات الإسلامية اليهودية:

من خلال عرض أحوال الطائفة اليهودية بالعراق يمكن القول إن العلاقة بين مسلمي العراق ويهودها على المستوى الرسمي والشعبي كانت جيدة للغاية، إذ لم يكن هناك ما يعكر صفوها، حيث كانت الطائفة تنعم بالحياة الآمنة المستقرة مع سائر سكان البلاد.ولم تكن الشدائد والصعاب التي مرت بالعراق في بعض فترات تاريخه لتميز بين مسلم ويهودي ومسيحي. وقد انعكست هذه العلاقات الطيبة في أدبيات يهود العراق على نحو ما نجد عند القصاص أنور شاؤول وسمير نقاش وإسحاق بار موشيه وغيرهم.ولم يفكر يهود العراق في ترك البلاد خلال العصور المختلفة، وجميع من هاجر خلال القرنين الماضيين -مثلا- كانت دوافعهم إما تجارية حيث اتجهت بعض العائلات نحو الهند والشرق الأقصى، أو دينية إذ هاجر بعض العائلات أيضاً إلى فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر. وبسبب تسرب الفكرة الصهيونية القومية إلى يهود العراق وإقامة إسرائيل شهد العراق هجرة جماعية لمواطنيه اليهود، ولم يبق

منهم إلا القليل لا تتوفر أي معلومات موثقة عنهم خاصة بعد الأحداث الأخيرة التي ألمت بالعراق[١٠].وعند قرائتنا للاحداث لاحظنا اخلاص يهود العراق للمملكة العراقية الحديثة، حيث وكما اشرنا الى لعب ابناء الطائفة اليهودية دورا مهما في عملية الاعداد لتأسيس الدولة العراقية الحديثة في العام ١٩٢١، فقد كانوا من الطبقات المتعلمة والمثقفة في العراق انذاك .... وقد استوزر ساسون حسقيل، وهو من يهود العراق كاول وزير للمالية لمملكة العراق ضمن تشكيلة الوزارة النقيبية الاولى التي شكلها عبد الرحمن النقيب عام ١٩٢١. وقد ساهم ساسون حسقيل الوزير العراقي المخضرم ببناء اقتصاد العراق وماليته على اسس رصينة، كما كان مفاوضا عنيدا وصاحب نظرة استشراقية في مفاوضات العراق مع شركات النفط البريطانية، حيث جلبت سياسته ومواقفه الوطنية واردات كبيرة للعراق، عندما اشار على الوفد العراقي المفاوض في مفاوضات النفط مع الانكليز الى اضافة كلمة (ذهب) على جملة (اربعة شلنات) عند احتساب عائدات النفط، بينما جلبت لساسون غضب البريطانيين، وعدم رضاهم على استيزاره لاحقا ، لكنه ظل فعالا في مجلس النواب العراقي . واليه يعود الفضل في اصدار اول عملة عراقية وطنية بالاشتراك مع يهودي اخر هو ابراهيم الكبير مدير عام المحاسبة المالية انذاك في عام ١٩٣٢ ، لتحل محل الليرة التركية والروبية الهندية. وكان النائب ابراهيم حاييم (١٨٧٦ – ١٩٥٢) وهو من يهود العراق ايضا احد اعضاء الوفد النيابي المكلف بالعمل على ادخال العراق في عصبة الامم عام ١٩٣٢. وما زال العراقيون يتذكرون العديد من الشخصيات اليهودية في العراق ونذكر منهم[١١]:

مناحيم دانيال - كان عضوا في مجلس الأعيان في العهد الملكي، وتوفي عام١٩٤٠ م. وأبنه عزرا عين كذلك عضوا في مجلس الأعيان. أنظر مجلس مناحيم دانيال.

- الأستاذ مير بصري كان مشهورا في علوم الاقتصاد وألف كتبا عديدة منها كتاب مباحث في الاقتصاد والمجتمع العراقي.
- الكاتب نعيم جلعادي الذي اشنهر بمحاربت للفكر الصهيوني.
- أنور شاؤول اديب وشاعر ومحامي

المشهورون في مجال الموسيقى والسينما

من العراقيين اليهود الذين أشتهروا في المجال الموسيقي بعضهم وليس جميعهم :

- الفنانة سليمة مراد أو سليمه باشا وهي أول امرأه تحصل على لقب باشا
- الموسيقار صالح يعقوب عزرا أو كما هو مشهور صالح الكويتي وهو من كبار الموسيقيين العراقيين

- الموسيقار داود يعقوب عزرا أو كما هو مشهور داود الكويتي وهو من كبار الموسيقيين العراقيين
- عزوري العواد وهو العازف على آلة العود وموسيقي مشهور
- ساسون الكمنجاتي توفي في وسط اربعينات
- يوسف زعرور الكبير عازف القانون
- يوسف زعرور الصغير ابن عم يوسف زعرور الكبير
- حوكي بتو عازف السنطور الذي ولد في القرن التاسع عشر وتوفي في بداية الثلاثينات
- يهودا شماش عازف ايقاع
- سليم شبث قارئ المقام العراقي
- يوسف حوريش قارئ المقام العراقي
- حسقيل قصاب قارئ مقام
- سليم النور ملحن
- سلمان موشي الخبير بالمقام العراقي
- يعقوب العماري عازف ناي وقارئ مقام
- نجاة (العراقية) التي توفيت في إسرائيل ١٩٨٩
- فلفل كرجي قاريء المقام
- البير الياس عازف على آلة الناي موسيقي معروف ولديه ألحان كثيرة

كذلك أستوديو بغداد السينمائي تم تاسيسه عام ١٩٤٨ م من قبل التجار اليهود الأغنياء وأنتج أفلام ناجحة منها عاليا وعصام وليلى في العراق وكان ملحق به (أستوديو هاماز) مختبر لتظهير الأفلام التي يصوروها.

اما اهم الشخصيات العراقية التي شغلت مناصب مهمة في (اسرائيل)

عوفاديا يوسف حاخام اليهود الشرقيين في إسرائيل والزعيم الروحي لحزب شاس لليهود الارثودكس، وهو من مواليد ١٩٢٠ البصرة في العراق.

بنيامين بن إليعازر وزير الدفاع الإسرائيلي الاسبق.

اسحاق موردخاي وزير دفاع اسرائيلي سابق.

التدهوُر والتهجير:

تعرض اليهود في العراق إلى عملية قتل ونهب للممتلكات، وعرفت هذه العمليات باسم الفرهود حيث قتل فيها العديد من اليهود ونهبت ممتلكاتهم في بداية الأربعينيات. وبعد قيام (إسرائيل) عام ١٩٤٨م. فقد عملت السفارة الألمانية في بغداد على تغيير نظرة العراقيين المسلمين إلى اليهود من خلال عدة منشورات وممارسات وقدسبق هذا التاريخ عدة ممارسات ففي عام ١٩٣٤، فُصل عشرات الموظَّفين اليهود من وزارة الاقتصاد، عام ١٩٣٥ فُرضت قيود على عدد اليهود في المدارس، وعام ١٩٣٨ أُقفلت صحيفة "الحصاد"، لسان حال يهود العراق ومنذ ١٩٤٩ حتّى ١٩٥١، فرّ ١٠٤ آلاف يهودي من العراق ضمن عمليات "عزرا ونحميا"، و٢٠ ألفًا آخرون هُرِّبوا عبر إيران. وهكذا، تقلّصت الجالية التي بلغت ذروة من ١٥٠ ألف شخص عام ١٩٤٧، إلى مجرّد ٦ آلاف بعد عام١٩٥١ [١٢] وعند وصول عبد الكريم قاسم للسلطة رفع القيود عن اليهود المتبقين في العراق وقد بدأت وضعيتهم تتحسن وأخذت الأمور تعود إلى طبيعتها. لكن انقلاب حزب البعث واستلامه للسلطة أعاد الاضطهاد والقيود عليهم وفي عام ١٩٦٩ م أعدم عددا من التجار معظمهم من اليهود بتهمة التجسس لإسرائيل مما أدى إلى تسارع حملة الهجرة في البقية الباقية من يهود العراق والتي شهدت ذروتها في بداية السبعينيات.

وعند الاجتياح الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م كان مجموع اليهود المتبقين في العراق أقل من ١٠٠ شخص معظمهم إن لم يكن كلهم في بغداد والغالبية العظمى منهم من كبار السن والعجزة[١٣]

اليهود في واسط:

سكن اليهود مدينة واسط منذ تأسيسها لمزاولة الاعمال التي تحتاجها المدينة وخاصة في شؤون الحسبة والصيرفة فقد كان لليهود خبرات في هذا المجال واستمر وجودهم في المدينة على عهدها العباسي وقد ذكر ان عددهم في واسط سنة ٥٦١ هـ - ٥٦٩ هـ/ ١١٦٥ م – ١١٧٣ م كان يقدر بحوالي عشرة الاف يهودي وكانوا يتمتعون بالحرية والتسامح الديني الذي الفته واسط وكان لهم مزار يزعمون انه قبر (عزرة بن هارون بن عمران) يزوره المسلمون واليهود في المناسبات الدينية المختلفة ولم نستطع تحديد هذا بالمكان في محافظة واسط الحالية .

ورد اول ذكر رسمي لليهود في مدينة الكوت في احصاء عام ١٩٢٠الذي أجرته السلطات قبل إبريل/نيسان عام ١٩٢٠م حيث بلغ مجموع سكان لواء الكوت (محافظة واسط حالياً) كان ١٠٧ ألف و ٧٩٨ نسمة. و قد توزع السكان وفقاً للمجموعات الدينية التالية[١٤]:

الفئة	مسلمين شيعة شيعة	مسلمين كرد كورد	يهود	مسيحيين	المجموع

العدد	٩٨,٧١٢ نسمة	٨,٥٧٨ نسمة	٣٨١ نسمة	١٢٧ نسمة	١٠٧,٧٩٨ نسمة
النسبة المئوية	%٩١.٥	%٨	%٠.٤	%٠.١	%١٠٠

اما تاريخيا فقد ورد ذكر اليهود في حوادث عدة واهمها:

١- ارتبط اسم اليهود بحادثة مقتل السيد تاج الدين* المدفون في منطقة الحفرية حاليا حيث تقول الروايات ان السيد تاج الدين بنى محرابا له للصلاة ومنبرا في مسجد النخيلة الذي كان يخطب منه امير المؤمنين علي عليه السلام ايام حربه مع معاوية بن ابي سفيان في معركة صفين المجاور لمرقد النبي ذي الكفل عليه السلام وعندما اصدر السيد تاج الدين امرا بمنع اليهود الذين كانوا يحيطون بمرقد النبي ذي الكفل عليه السلام ويزورونه عن طريق الدخول اليه عبر المسجد حفاظا على حرمته واشار عليهم بالدخول من الباب الغربي الذي كان هو الطريق الرئيسي للدخول الى المرقد الامر الذي حرك حقد اليهود عليه واستعانوا بالوزير شهاب الدين الطبيبي المعروف برشيد الدين الذي كان مقربا من اليهود لقتله واعانه على ذلك رغبات المتعصبين من المذاهب الاخرى في الخلاص منه وعندما علم السيد تاج الدين بذلك فضل التوجه الى بلاد فارس الا ان اليهود استمور بمطاردة السيد تاج الدين ببغداد في سبيل قتله وطارده على امتداد نهر دجلة باتجاه مدينة واسط انذاك الى ان وصل الى مكان مدينة الحفرية حاليا شمال الكوت ١٢٠ كم وقبضوا عليه مع ولديه شمس الدين وشرف الدين فقتلوه ومثلوا بجثته في هذه المنطقة ونتفوا شعر لحيته وبيعت الطاقة من شعر لحيته بدينار وقطعوه اربا حيث اشتراه الشيعة الموالين ذوي الاموال في ذلك الوقت ودفنوه في هذا المكان "[١٥].

٢- ماورده الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي** في رحلاته الى العراق حيث عني التطيلي بإحصاء اليهود وذكر مقدساتهم في معظم البلاد التي تنقل فيها، ونحن نختصرماذكره حصرا عن واسط[١٦]:

واسط: ١٠.٠٠٠ يهودي، البصرة: ١٠.٠٠٠ يهودي ،نهر سمرة: وفيها قبر العزير ١٥٠٠ يهودي، خوزستان: ٧٠٠٠ يهودي .

٣- اليهود ومجزرة سجن الكوت عام ١٩٥٣وساورد هنا نص لمقالة لحسقيل قوجمان بعنوان" مجزرة الكوت كما اتذكرها "نشرها في مقع الحوار المتمدن العدد ٢٩٣٥في ٢٠١٠/٣/٥[١٧]:

"في سنة ١٩٥٣ اجرت الحكومة العراقية مجزرتين في السجون السياسية مجزرة في سجن بغداد **ثم مجزرة في سجن الكوت**. لم اكن في بغداد ولا اعرف كيف بدأت المجزرة ولكن نهايتها كانت

نقل السجناء الناجين من المجزرة الى سجن بعقوبة ونقل اليهود منهم الى سجن نقرة السلمان. وفي هذا المقال اسرد ذكرياتي عن مجزرة الكوت لان ما قرأته عنها ليس دقيقا وبه بعض المبالغات.

بدأت المجزرة في الحقيقة منذ مجزرة سجن بغداد. فقد كتبنا رسالة احتجاج شديدة اللهجة موقعة بامضاء جميع **سجناء منظمة الكوت الشيوعية** وارسلناها الى السلطات. وبعد مدة وجيزة بدأت المشاكل في سجن الكوت. فجأة حضر الى السجن مدير السجون العام والمجرم جبار ايوب ومعهما الحاكم العسكري. واجريت محاكمة السجناء واحدا بعد الاخر في غرفة مدير السجن عن الرسالة وحكم على جميع السجناء باحكام اضافية.

كان المسؤول الاول في سجن الكوت منذ الهروب الفاشل من النفق اخي موشي قوجمان وقد انضم اليه بعد الانتفاضة التي حدثت في بغداد وقدوم وجبات جديدة بعدها عدد اخر مثل عزيز الشيخ ولا اتذكر الاسماء الاخرى. وربما جرى تغيير المسؤول الاول ولكن ذلك لم يعلن. فكلنا كنا نعتبر موشي المسؤول الاول حتى يوم المجزرة. ونظرا الى اني لست عضوا في لجنة القيادة فأنا لا اعرف تفاصيل المفاوضات التي جرت بين ممثل المنظمة اكرم حسين والادارة. واذا كان اكرم حسين ما يزال على قيد الحياة فهو احسن من يمكنه الادلاء بتفاصيل تلك المفاوضات.

حين اراجع احداث المجزرة اليوم اشعر بانه ربما كان بالامكان تحاشي المجزرة ولكني انذاك لم اشعر بشيء من هذا القبيل. اقول اني اشعر بانه ربما كان بالامكان تحاشي المجزرة لاني لا اعرف بالضبط ماذا كان مجرى المفاوضات. فاذا كانت المفاوضات حول نقل السجناء غير اليهود الى بعقوبة والسجناء اليهود الى نقرة السلمان فان الحكومة بلا شك تستطيع فرض ذلك مهما قاومنا. ولذلك ربما كان بالامكان تحاشي المجزرة بالرضوخ الى عملية النقل "سلميا". اما اذا كانت المجزرة هدفا مقررا ومقصودا مهما كانت الظروف فالامر يختلف تماما.

بعد انتهاء المحاكمات جرى فجأة قطع الطعام والماء عن السجن. وطبيعي ان في مخزن السجن توجد بعض المواد الغذائية ولكنها لا تكفي لاكثر من يومين او ثلاثة ايام وهذا يعني الحكم على السجناء بالموت جوعا. ولكن الاشد من ذلك كان قطع الماء عن السجن في جو حزيران او تموز الحار. وهذا كان يعني الموت عطشا خلال ايام معدودة. وقبل هذا الاجراء اخلي السجن من السجناء غير السياسيين واحيط السجن بمئات الشرطة. ومنذ اليوم الاول لقطع الماء والطعام اخذ الشرطة والسجانة يلقون علينا الحجارة من فوق السور فجأة وفي منتصف الليل بحيث اضطررنا ان ننام في غرف السجن في تلك الايام اللاهبة لان النوم في الساحة اصبح مستحيلا. وكانوا يصرخون بكلمات التهديد المبتذلة بالمكروفونات. اتذكر ان احدى تلك النداءات المضحكة كانت "لقد القينا القبض على يعقوب قوجمان

وسينال جزاءه قريبا". وطبيعي اننا نعلم ان يعقوب قوجمان ترك العراق بعد اعتقال حميد عثمان بمدة وجيزة.

في فترة يومين او ثلاثة نفد ما لدينا من ماء واصبح العطش اكبر خطر على حياتنا جميعا. وقد قررت اللجنة القيادية حفر بئر في وسط ساحة السجن للحصول على الماء. ورغم ان الحفر جرى في وضح النهار وفي الساحة لم تقم الحكومة باطلاق النار على السجناء الذين تطوعوا بالحفر ونجحنا اخيرا في الوصول الى الماء. كان الماء غير صالح للشرب مليئا بالاملاح مما ادى احيانا الى الاسهال لدى عدد من السجناء ولكننا نجونا من الموت عطشا.

وخلال ثلاثة او اربعة ايام نفد ما لدينا من مواد غذائية وقد استخدمت حتى ما وجد في الصيدلية من دهن السمك كغذاء. كان الوضع في الواقع حكما على السجناء بالموت عطشا وجوعا. دام هذا الوضع شهرا كاملا كان الشرطة يلقون الحجر على كل من يتواجد في الساحة. وفي احد الايام فاجأنا الشرطة باطلاق النار من على السور وقتل في هذه الحادثة شاب لا يتجاوز السادسة او السابعة عشرة من العمر اسمه وحيد وسجين اخر اسمه صبيح مئير. فقد اصيب صبيح مئير حين كان واقفا في باب غرفة السجن بطلقة في رأسه فجرت رأسه كأنها مصوبة ببندقية قناص تصويبا دقيقا. واصيب وحيد بطلقة في رئته. كان وحيد بطلا في موقفه رغم شعوره بقرب موته جراء الطلقة. وقد اجرينا تشييع صبيح مئير في الساحة بمظاهرة وسلمنا وحيد الى السجن حيا. ولكنه ترك في الفسحة بين بابي السجن حتى وفاته بدون ان يأخذوه الى المستشفى لمعالجته.

في النهاية اتفقوا مع ممثلنا اكرم حسين ان نسمح لهم بتفتيش السجن عن الاسلحة ثم يعيدون لنا الماء والطعام. ومسألة الاسلحة كحجة للمجزرة كحجة اسلحة الدمار الشامل لاجتياح العراق واحتلاله. فلم يكن في السجن ما يمكن ان يسمى اسلحة سوى سكاكين المطبخ التي زودونا هم بها من اجل طبخ الطعام. بدأوا بالتفتيش صباح اليوم الى المساء فاخرجوا كل ما في السجن من افرشة وملابس وادوات فاصبح السجن مجردا من كل شيء ومع ذلك لم يعيدوا لنا الطعام والماء. وفي اليوم الثاني بدأ التفتيش ثانية فنقلونا الى الجناح الذي كان مخصصا للسجناء العاديين واخلوا الجناح الذي كان مخصصا لنا وبدأوا بالحفر بحثا عن الاسلحة فحفروا كل قاعات السجن والمطبخ ولم يجدوا شيئا ودام هذا طيلة اليوم الثاني. وفي مساء هذا اليوم زودونا بالماء ووجبة من الكباب والخبز والرگي. ولم يعطونا سكينا لكسر الرگي فكسرناه بالقائه على الارض. وبعد العشاء لم يبق في السجن سوى قشور الرگي. ان ما كتب عن المجزرة من مقاومة بطولية ليس له ذرة من الصحة.

في مساء اليوم الثاني بعد هذا العشاء دخل الى السجن عشرات الشرطة المزودين ببنادقهم وجاؤوا بعشرات العمال لكي يجهزوا ساحة السجن بمئات المصابيح الكهربائية بحيث اصبح جو السجن

ليلا مليئا بالنور كما لو وجد احتفال فيه. وكان الشرطة يقولون لنا ان الامر ينتهي في الساعة الخامسة صباحا.

كنا موشي اخي وانا مستهدفين علنا في تلك الليلة. فكان السجانة يعلمون الشرطة واحدا واحدا هذا موشي وهذا حسقيل. كل ما استطعنا ان نقوم به كمقاومة هو ان القيادة كلفت سجينا كهربائيا محترفا ان يجري شرارة كهربائية بالاسلاك الموجودة في احدى الغرف لكي يطفئ جميع هذه الانوار التي نشروها في ساحة السجن. اذا كان هناك ما يسمى مقاومة فهو نجاح هذا الكهربائي في تحقيق ذلك اذ في اللحظة التي بدأت فيها المجزرة انطفأت جميع الانوار فلم يفلحوا في اصطياد الاشخاص الذين كانوا هدفهم فجرى اطلاق النار عشوائيا ونتجت المجزرة عن عشرة قتلى وجرح جميع السجناء تقريبا.

في الساعة الخامسة صباحا سمعنا في المكروفون اسماء عدد من السجناء يجب خروجهم فرفضت القيادة خروجهم وبدأ اطلاق النار فالتجأ السجناء الى الغرف وحاولوا تجنب النار الذي كانوا يطلقونه من الشبابيك. وخرج السجناء بين صفين من الشرطة تقوم بالضرب باخامص البنادق من باب الغرفة الى باب السجن. فمن وقع في تلك المسيرة قتل ومن استطاع الوصول الى الباب نجا. وفي الصباح استدعى متصرف اللواء موشي اخي لمقابلته وتحدث معه ولا ادري ماذا كانت تفاصيل المقابلة. ولكن موشي اصيب ببعض الرضوض في يده وانا اصبت بجروح في جبهتي اثناء المرور بين صفي الشرطة من الغرفة الى الباب.

ان الادعاء بان احمد علوان كان المسؤول الاول في السجن واستشهد في المجزرة لا اساس له من الصحة واعتقد انه كذب مقصود لاخفاء ان المسؤول كان يهوديا. فاحمد علوان كان سجينا له تاريخ طويل من السجون في العراق وفي ايران ولكنه في هذه الفترة كان عضوا عاديا ليس له اي مركز في اللجنة القيادية سواء في نقرة السلمان او في الكوت. وقد كان احمد علوان ملقى بجانبي عند خروجنا وقد قبلنا بعضنا وكان حيا ولكن جرحه كان مميتا ولم يؤخذ الى المستشفى لمعالجته بل ترك حتى وفاته في ارض السجن. ولكن كان شجاعا وبطلا في تلقيه الموت حتى النفس الاخير.

كانت الادارة قد افرغت مستشفى الكوت قبل المجزرة من اي مريض فيها ولذا كانت خالية جدا ونقل جميع السجناء الناجون من المجزرة الى المستشفى بعد ان البسونا الملابس السجنية التي تشبه الجنفاص وكبلونا بالسلاسل بعد ان كنا محررين منها بعد الاضراب الناجح الذي ادى الى نقلنا من نقرة السلمان الى الكوت.

حقن جميع السجناء على ما اعتقد بحقنة مضادة للتيتانوس وعولج الجرحى من قبل اطباء المستشفى وكان موقف الاطباء عاطفيا ووديا. وفي ذلك الوضع حدث لي حادث غريب لا يمكن تصوره.

في صباح المجزرة ارسلت الحكومة وفدا طبيا من بغداد برئاسة مدير صحة بغداد لاجراء تحقيق في المجزرة. وعند تجول اعضاء الوفد في المستشفى وتفقد احوالنا ونحن جالسون على الارض بوضعنا المزري مر رئيس الوفد الطبي بجانبي وفورا ناداني باسمي حسقيل وصافحني واخذ يتحدث الي عدة دقائق. كان رئيس الوفد احد اصدقائي في الثانوية المركزية اثناء الدراسة الثانوية ولم ينس صداقتنا وكانت له الشجاعة الكافية لمحادثتي كصديق لصديق رغم تلك الاوضاع المزرية وامام مدير السجون العام ومدير السجن.

نقلنا نحن اليهود في مساء ذلك اليوم الى مركز الشرطة حيث نمنا على الارض حتى صباح اليوم التالي وفي الصباح سفرونا الى نقرة السلمان رغم جروحنا واوضاعنا الصحية الفظيعة وكان السفر قاسيا الى درجة اني فور دخولي قلعة سجن نقرة السلمان عانيت من نزيف حاد من الامعاء لم يتكرر سوى مرة واحدة.

بهذا تنتهي ذكرياتي عن مجزرة سجن الكوت وارجو ان اكون قد نجحت في سردها سردا صحيحا لا مبالغات فيه سواء من جانب تصرف السجناء او من جانب تصرف الحكومة.

الهوامش:

(١) أحمد سوسة – ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق-المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-٢٠٠١. ص٥٧.

(٢) احمد سوسة-ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق. المرجع السابق- ص:١٢٥-١٢٦).

(٣) האנציקלופדיה העברית، כרך שמיני، ירושלים، תש"כ ، עמ'35.

(٤) يوسف غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مكتبة الوراق، لندن، ط٢،١٩٩٧، ص٦١.

(٥). نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق. المرجع السابق (ص:٦٧).

(6)Salo. W. Baron, A social and religions history of Jews -Columbia University, press, Revised edition2-1958-p76.

(٧)أبراهام بن يعقوب: ، موجز تاريخ يهود بابل منبدايتهم حتى اليوم- علي عبد الحمزة لازم- رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد - كلية اللغات، ٢٠٠٠م، ص١٢٨–١٢٤.

(٨) يعقوب يوسف كوريه -يهود العراق في زمن السلطان عبد الحميد - الطبعة الأولى ١٩٩٨ (ص: ١٠- ١٣)

(٩)علي كامل سرحان، اليهود في الحلة (دراسة تاريخية لأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية")- دار الثقافة والإعلام في الحلة، ٢٠١١، ص ١١٤.

(10) http://www.aljazeera.net

(١١) إبراهيم عبد الغني الدروبي- البغداديون أخبارهم ومجالسهم - مطبعة الرابطة - بغداد - ١٩٥٨ م- مجالس اليهود ص ص ٢٠٩-٢١٣.

(١٢)تيسير ابلاسي- ، اليهود العرب في فلسطين لاجئون أم مهجرون؟ مقال تحقيقي -مجلة البيادر السياسي العدد ١٠٧٩ في ٢٠١٧/٥/٢٧) ينظر ايضاً:

موقع إيلاف، مقالة أدبية و"شهادةتاريخية" ل: "أ. د شموئيل موريه"، عن يهود العراق ١٩٥٠-١٩٥١ تحت عنوان: ستون عاما على تسقيط الجنسية العراقية عن يهود العراق

(١٣) يؤاف شاحام -على أنهار بابل.. قصّة يهود العراق١ يونيو ٢٠١٧ **http://www.al-masdar.net**

(14) Toseph T.Parfit- Marvellous Mesopotamia, The world's wonderland, M.A, Page 15

* السيد تاج الدين محمد بن مجد الدين ينتسب الى الامام زين العابدين عليه السلام وهو سيد جليل استشهد مع ولديه سنة ٧١١هجرية الموافق ٢٥ ذي القعدة ، حيث كان السيد تاج الدين واعضا ونقيب نقباء الري وخراسان وقسم من بلاد فارس.

(15) http://www.aynaliraqnews.com

*بنيامين التطيلي (ت. ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) هو الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي. قام برحلة من سنة ١١٥٩ - ٧٣ م وبلغ الصين مارا بالبلاد العربية، وعنى في رحلاته بدراسة أحوال اليهود في الأقاليم المختلفة.كتب عن رحلته باللغة العبرية، ثم نقلت إلى اللاتينية ومن ثم إلى أغلب اللغات الأوروبية. نقلها عزرا حداد من العبرية إلى العربية وطبعت في بغداد سنة ١٩٤٥ م (المطبعة الشرقية). انظر: الموسوعة العربية الميسرة - المجلد الأول (الطبعة الثالثة). بيروت: المكتبة العصرية. ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م. ص ٧٩٣

(١٦) بنيامين بن يونة، رحلة ابن يونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي، ترجمة عباس العزاوى، تقديم رحاب خضر عكاوى، بيروت: دار ابن زيدون، ١٩٩٦م، ص١٦٧.

(١٧) حسقيل قوجمان -مجزرة الكوت كما اتذكرها- الحوار المتمدن-العدد: ٢٩٣٥ - ٥/ ٣ / ٢٠١٠

http://www.ahewar.org

المصادر:

المصادر العربية:

(١)**الكتاب المقدس**.

(٢)**الموسوعة العربية الميسرة** - المجلد الأول (الطبعة الثالثة). بيروت: المكتبة العصرية. ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

(٣)أبراهام بن يعقوب- **موجز تاريخ يهود بابل منبدايتهم حتى اليوم**- علي عبد الحمزة لازم -رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد - كلية اللغات، ٢٠٠٠م، ص١٢٨–١٢٤.

(٤) إبراهيم عبد الغني الدروبي- **البغداديون أخبارهم ومجالسهم** - مطبعة الرابطة - بغداد - ١٩٥٨ م- مجالس اليهود.

(٥) أحمد سوسة – **ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق**-المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-٢٠٠١.

(٦) بنيامين بن يونة- **رحلة ابن يونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي**، ترجمة عباس العزاوى، تقديم رحاب خضر عكاوى، بيروت: دار ابن زيدون، ١٩٩٦م

(٧) تيسير ابلاسي- **اليهود العرب في فلسطين لاجئون أم مهجرون؟** مقال تحقيقي -مجلة البيادر السياسي العدد ١٠٧٩ في ٢٠١٧/٥/٢٧ .

(٨)علي كامل سرحان- **اليهود في الحلة (دراسة تاريخية لأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية**،دار الثقافة والإعلام في الحلة، ٢٠١١.

(٩) يعقوب يوسف كوريه -**يهود العراق في زمن السلطان عبد الحميد** -. الطبعة الأولى ١٩٩٨

(١٠) يوسف غنيمة، **نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**، مكتبة الوراق، لندن، ط٢،١٩٩٧.

المصادر العبرية:

1- תנ"ך.

2- האנציקלופדיה העברית، כרך שמיני، ירושלים، תש"כ.

المصادر الانكليزية:

(1) Salo. W. Baron, A social and religions history of Jews -Columbia University, press, Revised edition2-1958

(2) Toseph T.Parfit- Marvellous Mesopotamia, The world's wonderland, M.A.

المواقع الالكترونية:

http://www.ahewar.org

http://www.aljazeera.net

http://www.al–masdar.net

http://www.aynaliraqnews.com